



جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

التيار البديعي في شعر العصر الأيوبي

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

□□□□ □□□□ / □□□□□□

□□□□□□□ □□□

□□□□□□□ □□□□□□

□□□□ □□□□ / □□□□□□□□

□□□□

————— دليل الدراسات العليا —————

جامعة عين شمس

كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

رسالة (دكتوراه)

اسم الطالب :أحمد فتحي عبد الفتاح عبدالله

عنوان الرسالة : التيار البديعي في شعر العصر الأيوبي

(دراسة في ضوء علم لغة النص)

اسم الدرجة (دكتوراه)

لجنة الإشراف

الوظيفة —	/ . :	-
الوظيفة —	:	-
الوظيفة —	:	-

تاريخ البحث : / /

الدراسات العليا

جيزت الرسالة بتاريخ

/ /

موافقة مجلس الكلية

/ /

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور /

عاطف جوده نصر الذي تعجز كلماتي عن التعبير عن شكره حيث

شرفت بمتابعته الدعوب وجهده الذي لا يدخر وسعاً في التوجيه والإرشاد،
فالله أسأل أن يجزيه عني وعن بحثي خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى العالمين الجليلين : الأستاذ
الدكتور / محمد يونس عبد العال أستاذ الأدب بكلية الآداب جامعة
عين شمس، والأستاذ الدكتور / صلاح الدين علي رزق أستاذ ورئيس
قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة اللذين شرف بهما
البحث وصاحبه قراءة ومناقشة .

تلميذكم / □□□□

الإهداء

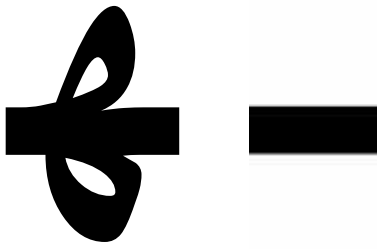
□□□ □□□ □□□

□□□□□ □ □□□□□

... □□□□

بقليل ...□□□□□□□
□□□□□□ □□

II



الظاهرة والمنهج

يدور هذا التمهيدي حول محورين :

: البديع وتيار الصناعة :

إن المتتبع لدلالة لفظة البديع في اللغة العربية يجدها تدور على معاني الجودة والإبداع والاختراع، فابن منظور يقول : " بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتدعه : أنشأه وبدأه ... وأبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال " (١)، كما امتد معنى البدعة ليتصل بدلالات الحداثة والسبق والطرافة والجدة .

وقد وردت لفظة البديع في بعض كتب النقد القديم مراداً بها الدلالة على الصورة الفنية، ومعنى هذا أن كلمة " بديع " أصبحت مصطلحاً فنياً يدل على الأساليب المجازية التي تتجاوز دلالتها التقريرية النمطية إلى التعبير الاستعاري عن المعنى (٢).

أما المصطلح الفني الذي ارتبط فيه البديع بظواهره المعروفة في الدرس البلاغي فقد تحددت دلالاته " الفنية التي يراد بها عناصر أسلوبية مميزة على يد ابن المعتز، ثم ما لبثت أن تطورت هذه العناصر عند معاصره قدامة، وأخذت في الزيادة عند ابن رشيق وأبي هلال حتى وصلت أقصى نموها عند ابن أبي الإصبع (٣).

وقد أصبح العلم الذي يهتم برصد هذه الظواهر معروفاً باسم "علم البديع"، وهو " علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة " (٤).

١ - ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر ودار صادر، بيروت، ج(٨)، ص٦، مادة بدع .

٢ - د/ عبد الفتاح عثمان : دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت، ص ١٥٧ .

٣ - السابق : ص ١٥٩ .

٤ - الخطيب الفزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق ودراسة د/ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٣٨٣.

وتأمل المبحث البلاغي المتعلق بالبدیع بتقنياته المتعددة يبرز " أن المتابعة البلاغية لم يكد يفلت منها وسيلة تعبيرية إلا وكشفت عنها، وحددت خواصها البنائية واستخلصت من هذه الخواص المصطلح الذي يناسبها ويعبر عنها " (١).

ولقد ارتبط لفظ البدیع بتيار الصنعة الشعرية، وهو تيار قديم برز في تاريخ الشعر العربي منذ زمن بعيد يمتد إلى العصر الجاهلي؛ وذلك من خلال هؤلاء الشعراء الذين كانوا ينقحون شعرهم تنقيحاً كان من مظاهره التأني في إخراج القصائد حتى سميت بـ " الحوليات"، وقد امتد هذا التيار مع بروز واضح في العصر العباسي وتبلور فيما أنجزه الشعراء المحدثون في ذلك العصر من أمثال " بشار بن برد" و"صالح بن عبد القدوس" و"أبي نواس" وصولاً إلى قمة هذا الاتجاه ممثلة في " أبي تمام".

وقد مال النقاد القدامى إلى تسمية هذا التيار الشعري في العصر العباسي بتيار المحدثين بناءً على وعيهم بهذه التطورات والتغيرات التي أحدثها هؤلاء الشعراء في الشعر العربي الذي ارتبط في أذهانهم بنسق صياغي تعبيرية معين تجاوزه هؤلاء الشعراء المحدثون، وانطلاقاً من ذلك وجدنا النقاد يقسمون الشعر في ذلك العصر إلى اتجاهين؛ أحدهما الاتجاه التقليدي الذي يحافظ على هذه القيم الفنية التي عهدت في أشعار القدماء، والآخر هو الاتجاه البديعي المحدث الذي ارتبط في هذا العصر بظروف وعوامل شتى أدت إلى نشأته، وقد أفاض بعض النقاد في تناولها (٢).

وقد كان هذا الفكر الحدائي قرين توجه فكري معين يميل إلى تجاوز ما توقف عنده الآخرون؛ مما انعكست أصداءه على الصراع في ذلك العصر بين الاتباع والابتداع، ذلك الصراع الذي ارتبط لدى نقادنا القدامى بمصطلحين رئيسيين هما الطبع والصنعة، ومن هنا كان تقسيمهم للشعراء إلى شاعر متكلف وشاعر مطبوع (٣).

١ - د/ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط(١)، ١٩٩٧م، ص ٣٤٩.

♦ يراجع د/ جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، دار سعاد الصباح، ط(١)، ١٩٩٢م ص ١٣٥ وما بعدها.

٢ - يراجع : ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٩٨٢ م، ج١ ص ٧٨ وما بعدها، والجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط(٥) ١٤٠٥ هـ /

وقد ارتبط الطبع لديهم بانثيال الألفاظ وسهولة المعاني التي تأتي سهواً ورهواً في حين ارتبطت الصنعة بطول التفتيش وإعادة النظر وصولاً إلى التكلف المرتبط بطول التفكير وشدة العناء .

ولا بد أن ندرك في هذا الإطار الخلفية الفلسفية التي ارتبط بها هذا الصراع بين التقليديين والمحدثين في الأدب لاسيما في مناقشة مصطلح الطبع على نحو تغدو معه الدلالة الأدبية لهذا المصطلح لدى بعضهم مثل ابن المعتز موازية لدلالته الاعتقادية " بالمعنى الذي يوازي معه التقابل بين (أصحاب الاستطاعة) من أهل العقل و(أصحاب الطبائع) من أهل النقل التقابل بين (طريقة المحدثين) و(طريقة القدماء) في الأدب " (١).

فالجاحظ وهو معتزلي يرد قيمة الشعر " إلى الجهد الإنساني الذي يكابده الشاعر في إقامة الوزن وتخير اللفظ وجودة السبك بعد أن تتوافر للشاعر صحة الطبع التي هي مجرد مبدأ أولي يقوم به الشعر ولا يتقوم به وحده، فالشعر عند الجاحظ (صناعة)، والصناعة جهد إنساني يقع على مادة " (٢).

وندرك من ذلك أن هذه الحداثة التي تسعى إلى إرادة الإبداع كان لها أسسها الفكرية الفلسفية الداعمة، ولقد تولدت دلالة مصطلح البديع " في حومة الصراع الاجتماعي الاعتقادي الذي بلغ ذروته في القرن الثالث للهجرة، على نحو ظلت معه دلالة المصطلح مرتبطة بالسياقات المتفاعلة لهذا السياق " (٣).

١٩٨٥م ج٢ ص ٩ ، وابن الأثير : المثل السائر: تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١ ص ٢٦٩ .

١ - د / جابر عصفور : السابق، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

٢ - السابق : ص ٢١٨ .

٣ - السابق: ص ٢٥٤ .

وقد امتد هذا الصراع في عصور الأدب العربي وصولاً إلى العصر الأيوبي فوجدنا النقاد يقسمون شعراء هذا العصر إلى مذهبين " أولهما . مذهب البديع أو مذهب الكتاب ومن المؤرخين من درج على تسميته كذلك بالمذهب الفاضلي نسبة إلى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي وزعيم الحركة الأدبية في زمانه، وإن كان المذهب البديعي في ذاته قد ولد ونما قبل مجيء الفاضل بخمسة قرون على أكثر تقدير ... وثانيهما مذهب . المعاني، وهو أكثر ظهوراً في الشعر الشعبي " (١).

كما قسمهم الدكتور/ محمد زغلول سلام إلى تقليديين " قد انتحوا ناحية القديم ينهجون على نهجه ويصطنعون أساليبه ومعانيه، والتزم آخرون مذهب الصنعة والبديع، وجمع فريق ثالث بين المنهجين " (٢).

كما ميز الدكتور / محمد كامل حسين بين مدرسة الرقة والسهولة في ذلك العصر ومدرسة الكتاب التي انتهجت نهجاً معيناً في شعرها (٣).

وقد اختار البحث أن تقوم دراسته على خمسة شعراء من كبار شعراء تيار البديع في العصر الأيوبي يأتي في مقدمتهم زعيم هذا الاتجاه البديعي القاضي الفاضل إضافة إلى ابن سناء الملك وكمال الدين بن النبيه، وشرف الدين بن عنين، كما اختار البحث شاعراً يتجلى في شعره تيار البديع مقترناً بأفق الشعر الصوفي هو عمر بن الفارض .

١ - د/ عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٠٨ .

٣ - د/ محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ٢٤٩ .

٤- يراجع د/ محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، دار الفكر العربي، د ت، ص ١٨٥ . ٢٠٤ .

والبحث معنيّ بالكشف عن دلالات البديع الأساسية المنسوبة في مستويات العمل الأدبي المتعددة التي تفصلها فصول الدراسة وصولاً إلى البحث عن رؤية عميقة تجمع هذه الدلالات التي تتبدى في أنساق متعددة .

والحق أن تحديد النسق المعرفي للفكر البديعي الشعري لا يرتكز فقط على التطورات الأدبية معزولة عن غيرها من فنون الثقافة الإسلامية ومجالاتها الأخرى، فما نجده من بديع فكري صياغي لدى هؤلاء الشعراء قد واكبه بديع فني آخر تجلّى في الفن الإسلامي المعروف بـ "الأرابيسك" .

ومن هنا يستخدم البحث مصطلح البديع بوصفه مصطلحاً متسع الأفق؛ إذ لا يقتصر البديع على مفهومه البلاغي المرتبط بفنون البديع وتقنياته البلاغية المتعددة، وإنما يمتد مصطلح البديع ليشمل هذا الفكر الحدائث القائم على التجاوز والتوليد والاستقصاء، إذ تسعى هذه الدراسة إلى الإفادة من كل دلالات البديع ومحاولة الكشف عنها في شعر التيار البديعي في العصر الأيوبي .

والدراسة في ضوء علم لغة النص تأمل أن تستكشف دور البديع النصي على مستوى النصوص والمتواليات النصية المكتملة بعيداً عن التوقف إزاء الشاهد المفرد، ويدفع ذلك إلى التعريف بمنهج علم لغة النص في القسم التالي من التمهيد .

ثانياً :

يعد علم النص من أحدث المناهج النقدية على الساحة الأدبية، وهو " فرع علمي بكر تشكل تدريجياً في النصف الثاني من الستينيات، والنصف الأول من السبعينيات من القرن العشرين ومنذ ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهاراً عظيماً، وتشهد المراجع المتخصصة الوفيرة على القدر الكبير الذي شارك به هذا الوافد الجديد مشاركة فعالة مع العلوم اللغوية في استمرار تطور علم اللغة على وجه الإجمال"^(١).

١ - فولفجانج هابنه مان وديتر فيهفجر : مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة د/ سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، القاهرة، ط(١)، ٢٠٠٤م، ص ٣ .

ويبدو مبدأ دراسة اللغة في الاستعمال ممثلاً للجانب الأكبر من جوهر علم النص وما يحققه من نقلة نوعية؛ " ذلك أن هذا المبدأ يعني الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها الطبيعي، حيث يستعملها الناس إنتاجاً وتلقياً في موقف ما من أجل التواصل والتفاعل " (١).

وعلم لغة النص يختلف عن العلوم اللغوية الأخرى من حيث نشأته؛ إذ لا ترتبط هذه النشأة ببلد معين حيث نشأ في بلدان مختلفة في صور متعددة تتباين في الأصل، ولكنها مع مرور الوقت والتطور المستمر أخذت في التقارب والالتقاء؛ لتكون منهاجاً متكاملًا قادرًا على التعامل مع النصوص المختلفة، ومع ذلك فبعض الباحثين يؤكدون أن أجرومية النص قد ولدت " من رحم البنيوية الوصفية القائمة على أجرومية الجملة في أمريكا، وكان مقال زيلنج هاريس Zelling Harris تلميذ بلومفيلد وأستاذ تشومسكي ثم مريديه فيما بعد عن " تحليل الخطاب " discourse analysis من معالم الطريق في هذا الاتجاه، ثم شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينيات في أوروبا ومناطق أخرى من العالم توجهًا قويًا نحو الاعتراف بأجرومية النص بديلاً موثقًا به لأجرومية الجملة " (٢).

ومن أهم الملامح المميزة لعلم لغة النص أنه منهج شمولي يتداخل مع علوم متعددة كعلوم الشعر والأدب والبلاغة والأسلوب والنفس والاجتماع وغيرها من العلوم التي تتناول النصوص من أجل غايات تتعدد باختلاف وجهات النظر الخاصة بالدارسين " غير أن علم لغة النص الذي يركز على النصوص في ذاتها بأشكالها وقواعدها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة، بوصفه فرعاً علمياً متداخل الاختصاصات

١ - د/ جميل عبد المجيد : علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، مجلة عالم الفكر، العدد (٣٢)، أكتوبر . ديسمبر، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٢.

٢ - د/ سعد مصلوح في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط (١)، ٢٠٠٣ م ص ٢٢٥ .

inter disziplinar يشكل محور الارتكاز بين هذه العلوم إلا أنه يتأثر دون شك بالدوافع ووجهات النظر والمناهج والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم " (١).

وتكاد التعريفات تتفق تقريباً على أن علم لغة النص هو " ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية Referance وأنواعها، والسياق النصي Textualcontext، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء " (٢).

أما النص فقد كثرت تعريفاته كثرة ملحوظة تؤذن باختلاف شديد يصل " إلى حد التناقض أحياناً والإبهام أحياناً أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به من قِبَل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق " (٣).
فالنص كما يرى هارتمان " أي قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام " (٤).

وهو في رأي برينكر Brinker : " تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى أشمل " (٥).
في حين يذكر هاليداي ورقية حسن أن كلمة نص تستخدم في اللسانيات لتشير " إلى أن أي مقطع . منطوق أو مكتوب وأياً كان طوله . يشكل كلاً متحدّاً " (١).

١ - د/ سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط(١)، ١٩٩٧م، ص ١٠٠ .

٢ - د/ صبحي إبراهيم الفقي : علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٣٦ .

٣ - د/ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، سابق، ص ١٠١ .

٤ - السابق: ص ١٠٢ .

٥ - السابق: ص ١٠٩ .

وقد حدّد شميت بأنه " جزء حدّد موضوعياً (محورياً) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية "(٢)، وقد رأى فاينريش أنه " تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضاً Deter minations geuge إذ يستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل"(٣).

ومن أهم تعريفات النص ما قدمه دي بوجراند ودريسلر حيث ذكرا أن النص ما هو إلا حدث اتصالي يستلزم حتى يتصف بالنصية أن تتوافر له سبعة معايير مجتمعة، " ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي :

١- السبك : Cohesion

٢- الحبكة : Coherence

٣- القصد : Intentionality

٤- القبول : Acceptability

٥- الإعلام : InFormativity

٦- المقامية : Situetionality

٧- التناص : InTertextuality "(٤) .

هذه بعض تعريفات النص وقد تم إيرادها لإثبات تعدد هذه التعريفات، ويلحظ على هذه التعريفات وغيرها من تعريفات النص ما يلي :

- أن هذه التعريفات تهيّب بتخطي حد الجملة الواحدة إلى المتتاليات النصية ثم النص ككل باعتباره بنية متكاملة متماسكة .
- أن كثيراً من هذه التعريفات تؤكد أن تحليل النص ينبغي ألا ينحصر في تحليل البنية اللغوية للنصوص فقط بل علينا أن نتجاوز ذلك الواقع اللغوي

١ - د/ جميل مراد : علم لغة النص، سابق، مجلة عالم الفكر، ص ١٤٥ .

٢ - د/ سعيد حسن بحيري، السابق: ص ١٠٨ .

٣ - السابق: الصفحة ذاتها .

٤ - د/ سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، سابق، ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

إلى الواقع الخارجي للنص، فالنص " عملية إنتاج بمعنى أنه ليس وصفاً أو سرداً لحقائق اللغة فحسب بل تُترك مساحة كبيرة من الحرية للمفسرين لكي يقدموه من خلال عمليات تفكيك الأبنية اللغوية الفعلية، وتمثل أبنية دلالية كبرى تجمع بينها، وتخلق توالداً مستمراً باختلاف النظر إلى أوجه التعالق من الدوال والمدلولات، وعملية اختيار قائمة على اكتشاف مقاصد المنشئ ثم إعادة ربط بين الجزئيات قائمة على خبرة المفسر وثقافته وتوجهه " (١).

فعلم النص لا يكتفي بدراسة العناصر اللغوية فقط، بل إنه يتجاوزها إلى العناصر غير اللغوية حيث لا تقل أهميتها عن العناصر اللغوية، ومن هنا يبحث هذا المنهج إدراج هذه العناصر في الوصف التحليلي، كما لا يتوقف علم النص " على ما يقدمه النحو من وصف دقيق للنظام اللغوي المجرد، بل يبحث عن كيفية اكتساب هذا النظام وتحديد القواعد والعمليات المعرفية التي يتم ذلك من خلالها، ويبحث أيضاً القواعد والاستراتيجيات التي تحكم عمليات إنتاج النصوص وفهمها، ويراعي في دراسة الأشكال النصية جوانب اتصالية وتداولية وأسلوبية ودلالية ونحوية بصورة حتمية " (٢).

- ويفهم من هذه التعريفات أيضاً أن بعض علماء النص يلحون على فكرة الاتصالية واعتبار النص حدثاً ذا وظيفة اتصالية، ولا بد أن يتوافر فيه عنصراً القصدي والمقبولية، كما أنه يرتبط بسياق، وللقاري مكان جوهري في التفسير لا يقل عن دور المنتج .
- ويلحظ على هذه التعريفات أنها تهيب بأهمية الترابط والتماسك بين المتتاليات النصية، فالتماسك عنصر أساسي في تحقق النصية سواء أكان تماسكاً نحوياً ظاهراً أم تماسكاً دلالياً على المستوى المعنوي .

١ - د/ سعيد حسن بحيري : السابق، ص ١١٣ .

٢ - السابق: ص ١٤٨ .